تفنيد المزاعم

جنود جدد لحرب الدعوة السلفية

د. عصام بن عبد الله السناني
جامعة القصيم

لما ظهر الخلل في فهم بعض شباب بلاد الحرمين في باب الولاء والبراء وعدم معرفة منهج أهل السنة فيه، فوقعوا بسببه في التكفير والتفجير، قام بعض المناوئين للدعوة السلفية بنسبة هذا التكفير الذي هو على منهج الخوارج لأئمة الدعوة ومصنفاتهم، لقد كان العداء الديني للدعوة السلفية فيما مضى ينبع من خارج البلاد، والتأريخ يحكي كم من الكتب ألفها أهل البدع والضلال لتشويه هذه الدعوة التجديدية الصافية التي أخرج الله بها فئاما من الناس من ظلمات الشرك والبدع والضلالات إلى نور التوحيد والسنة والهدى، ومع ضراوة هذا العداء وكثرة الأعداء بقيت هذه الدعوة بدولتها متجددة شامخة قائمة جامعة بين صفاء المنهج وقوة الجانب، حتى دخلنا في هذه المرحلة الحرجة التي جند فيها أعداء هذه البلاد ودعوتها بعض أبناء هذه البلاد المتدينين من يقوم بهذا الدور عنهم خير القيام، فاستغلوا وقتا حرجا مرّ به أهل هذه البلاد من حكام وعلماء بعد أحداث ضرب أبراج تجارية في "أمريكا"، فتكالب أعداء الخارج من النصارى مع أعداء الداخل من الصوفية والرافضة والليبراليين للطعن في أهم ما قامت عليه هذه البلاد بل هو سر بقائها هذه السنين المديدة، ألا وهو منهجها وعقيدتها. وهؤلاء الجنود الجدد ليسوا على درجة واحدة: فمنهم العدو الحاقد على هذه الدعوة المباركة المشكوك في باطنيته. ومنهم الأهوج الجاهل الذي لا يدري، ولا يدري أنه

لا يدري، ومنهم طالب العلم الذي حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الشرعية لكن نزعه عرق الحزبية والانتصار للجماعة الحركية التي تأثر بها فهو يحاول دفع تحميلها نتيجة هذه الأعمال، ولو كان ذلك بالطعن في الدعوة التجديدية وعلمائها، وهؤلاء يركزون على كتب أئمة الدعوة بأنها سبب لهذا التكفير والتفجير الواقع في بلادنا، فيقال لهؤلاء الحاقدين أو الجهلة: {قل موتوا بغيظكم}، إنكم لن تكونوا أشد حربا لهذه الدعوة من جحافل الحقد والكذب والتلبيس حين ظهور هذه الدعوة السلفية، ومع ذلك فقد ذهب زبدهم جفاء وهباء منثورا أدراج الرياح أمام قوة الحق ودمغه لهذا الباطل، إنكم لن تكونوا أكثر منهم ولا أشد منهم حجة ومكرا، لقد كان الواجب عليكم أن تعرفوا لأئمة الدعوة قدرهم وسابقتهم في تجديد التوحيد وإحياء السنن وإماتة البدع، لا أن تكونوا عونا لأعداء الدعوة من الصليبيين والليبراليين والصوفيين والرافضة، ولأنه إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل، فهذا شيخ مشايخنا العلامة عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – (مجموع الفوائد واقتناص الأوابد – فائدة: ١١١): وسأله سائل من أهل العلم: ما الواجب علي سلوكه مع علماء نجد؟ فقال: "إعلم يا أخي أن الواجب عليك موالاة جميع علماء نجد ومحبتهم والتقرب إلى الله بذلك، وأن تميزهم عن جميع المؤمنين لما خصهم الله به من العلم والإيمان والتعليم والدعوة والقيام بفروض كفايات نابوا فيها عن جميع المؤمنين، وهي كثيرة جدا، وأن تجعل هذه الفواضل والفضائل نصب عينيك، وتعلم مع ذلك أنهم كسائر الناس بشر يجري منهم ما يجري من البشر، فاجعل ما يبلغك مما ينتقد عليهم إن صح ذلك وأكثره غير صحيح، اجعل ذلك مقابلا لما لهم من المحاسن والفضائل تجد ذلك مضمحلا، وجاهد نفسك إن وجدت في نفسك على أحد منهم موجدة أن تداويها بالمحبة والثناء والدعاء تقربا إلى

الله، وقياما بالواجب، وارتقاء إلى الكمال الممكن، واعلم أنهم – ولله الحمد – كلهم على المذهب السلفي متفقون على إثبات ما أثبته الله ورسوله من صفات الله جل جلاله من غير استثناء على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه، ونفي ما نفاه الله ورسوله من النقص والكفو والند والتمثيل، ومتفقون أيضا على الدعوة إلى الشهادتين التوحيد الخالص والاتباع الخالص، وإذا فرض خطأ واحد منهم في بعض المسائل وهو معتقد هذا الأصل، فخطؤه قد غفره الله وتجاوز عنه بعد الاجتهاد، وهو المظنون، بل هو المعلوم من حالهم فإنهم يعتقدون ما ذكرنا من صميم قلوبهم، ويدعون إليه ويقررونه، وينكرون على جميع المعطلين النفاة كما ينكرون على المعطلين لتوحيد الإلهية والعبادة، وهم كلهم متفقون على أن من صرف نوعا من أنواع العبادة لغير الله من أي مخلوق يكون فهو مشرك كافر (لأن) هذا حد الشرك الأكبر المخرج عن دائرة الإسلام، فإذا عرفت ما ذكرته لك عنهم، وإن شككت في ذلك، فاسأل العارفين الذين ليس لهم هوى ولا أغراض، عرفت أن الواجب عليهم تمييزهم بالموالاة والمحبة والثناء، ونشر فضائلهم، وقمع من تعرض لهم، ونصيحة من يظن بهم خلاف ما ذكرناه، واجعل هذا طريقك الذي تسلك فإنه الطريق المستقيم الموافق للكتاب والسنة ولقواعد الشريعة وأصولها ... ثم إياك يا أخي أن تسمع بأحد منهم قدحا أو انتقادا إلا رددته ونصحت المعترضين وبينت له مقاماتهم العالية، ولا يغرنك ترك أكثر الناس لمراعاة هذا الحق الذي هو آكد حقوق المسلمين، وبه يحصل للعبد من الخير والثواب ويحصل به من المصالح الخاصة والعامة شيء كثير". اهـ

***